العرب
الثلاثاء 2021/01/26
السنة 43 العدد 11952

الجزائر تستعين بالمسرح والسينما لاستعادة زخمها الثقافي

الجزائر – عرض المسرح الوطني محي الدين بشطرزي مساء الأحد مسرحية "أخام ناغ" (بيتنا) نص وإخراج عقباوي الشيخ على قناته الرسمية في اليوتيوب. والعمل أنتج سنة 2020 من طرف الجمعية الثقافية "فرسان الركح" بالتعاون مع صندوق التشجيع على الإبداع الفني والأدبي لوزارة الثقافة والفنون الجزائرية.

وتتناول المسرحية في طابع ميلودرامي طيلة 87 دقيقة ظاهرة عزل كبار السن في دور المسنين، حيث جسد الشخصيات كنزة طالبي (لويزة) وسفيان ميهوب (زهير) ومالك فلاق (ايدير) وحمزة مشماش (صابر)، ويروي كل منهم كيف انتهى به المطاف في هذه الدار التي تجمعهم.

ويأتي هذا العرض إثر قرار وزارة الثقافة مؤخرا إعادة فتح المسارح وقاعات السينما والعروض المغلقة منذ شهر مارس الماضي للجمهور، حيث ستقدم العروض افتراضيا أو بحضور جزئي للجمهور.

> وزارة الثقافة الجزائرية تقرر إعادة فتح المسارح وقاعات السينما والعروض المغلقة منذ شهر مارس الماضي بشكل تدريجي

وبدأت الساحة الثقافية الجزائرية تشهد عودة الحركة تدريجيا، فأخيرا كشف المسرح الوطني الجزائري محي الدين بشطرزي عن أسماء الفائزين في المسابقة الافتراضية "لأحسن مشهد تمثيلي"، والتي انطلقت في يوليو 2020 بمناسبة الاحتفال بالذكرى الثامنة والخمسين لاسترجاع السيادة الوطنية وعيد الشباب.

وعادت الجائزة الأولى لكل من تيزيري بن يوسف من تيزي وزو وأحمد بريك شاوش من مدينة بومرداس لتمثيلهما أحد الأدوار في مسرحيتي "الشهداء يعودون هذا الأسبوع" و"حافلة تسير" على التوالي.

بينما فاز بالجائزة الثانية عمار صابر من تيزي وزو عن تجسيده لأحد الأدوار في مسرحية "حافلة تسير"، في حين حصلت بريزة سعيدي من مدينة باتنة على المركز الثالث لتجسيدها أحد الأدوار في مسرحية "سي قدور المشحاح".

هذا واختار المسرح عشرين مرشحا من المسجلين في هذه المسابقة التي نُظمت في إطار برنامج المسرح الوطني الجزائري الافتراضي، والذي التزم، على غرار جميع المؤسسات الثقافية الأخرى، بالامتثال الصارم للبروتوكول الصحي الساري ضد انتشار وباء كورونا.

وتحصل الفائزون على مبلغ 100 ألف دينار جزائري للجائزة الأولى و60 ألف دينار للثانية و30 ألف دينار للمركز الثالث.

ومطلع هذا الشهر قدم العرض الأول للمسرحية الجديدة "عربة وحكايات" من إنتاج الجمعية الثقافية "الأمل" بمدينة وهران، في انتظار عرضها خلال الأيام القادمة بحضور الجمهور. وتتناول المسرحية المنتجة بدعم من وزارة الثقافة والفنون والتي بثت في فيديو عبر صفحتي فيسبوك لمديرية الثقافة والفنون وديوان الثقافة والإعلام بوهران قصة أعضاء فرقة فنية تعطلت بهم العربة، وعندما كانوا يقومون بإصلاحها التف حولهم المارة فاغتنموا هذه الفرصة ليسردوا على مسامعهم قصصا من التراث الشعبي الجزائري.

وافتتح نادي المزهر مساء السبت نشاطه الرسمي مجددا في شقه المسرحي، وذلك بالمسرح الجهوي محمد الطاهر الفرقاني بمدينة قسنطينة وسط حضور لافت لمحبي الفن الرابع وفنانين ومثقفين وصحافيين.

وكانت الافتتاحية بعرض مسرحي قصير عبارة عن تركيب لمسرحية "ألف تحية لعرفية" من تأليف الأديب الراحل محمد ذيب (1920 – 2003) الذي برع بكتاباته باللغة الفرنسية في الرواية والقصة القصيرة والمسرح والشعر، في محاولة لإبراز أعماله للأجيال الجديدة، خاصة وأن العديد من مؤلفاته تناولها مخرجون في أعمال تلفزيونية على غرار مسلسل "الحريق" الذي صور مرحلة من مراحل الاحتلال الفرنسي للجزائر قبل الحرب العالمية الثانية من إخراج مصطفى بديع العام 1974.

كما نظمت بالمناسبة مائدة مستديرة حول مسرح الهواة، باعتباره اللبنة الأولى للتعريف بالفنانين والكتاب بمشاركة العديد من الوجوه المسرحية المنضوية في الفرق المسرحية للهواة من الجيل الأول التي ساهمت في بروز المسرح القسنطيني في سنوات السبعينات والثمانينات.

وقد أبرز رئيس فرقة "أهل المسرح" كمال بروكي أهمية بعث المسرح الأطوار التعليمية لاكتشاف مواهب شابة من شأنها أن ترتقي بالفن الرابع، معتبرا أن النهوض بمسرح الهواة "يستوجب تكاثف جهود كل الفاعلين في قطاع الثقافة للعودة بهذا الفن إلى سابق عهده".

أما المخرج التلفزيوني علي عيساوي، فاقترح إبرام اتفاقيات بين مختلف المسارح الجهوية والتلفزيون الجزائري من أجل استعادة الأرشيف واستعماله في مختلف المجالات التي من شأنها مرافقة الفنانين الهواة في اكتساب الخبرات السابقة.

كما أوضح أحمد ميرش مدير المسرح الجهوي محمد الطاهر الفرقاني بقسنطينة، أن افتتاح هذا النادي في شقه المسرحي يعد "متنفسا لكل المبدعين والفنانين المسرحيين بهدف ترقية وخدمة المسرح".

وفي إطار استعادة النشاطات السينمائية أعلنت "تعاونية الحلقة للثقافة والفنون لسيدي بلعباس" أخيرا عن فتح باب التسجيلات للمشاركة في الطبعة الأولى من أيام تسالا الوطنية لسينما المؤلف التي تنظم من 18 إلى 22 مارس المقبل.

وأضافت التعاونية في إعلانها أنه تم تحديد يوم 15 فبراير القادم كآخر أجل للتسجيلات المشاركة في هذه التظاهرة السينمائية التي تقام برعاية وزارة الثقافة والفنون وتحت إشراف قطاع الثقافة لمحافظة سيدي بلعباس، مشيرة إلى أنها مفتوحة لجميع المخرجين الهواة والهيئات والأفلام القصيرة، على ألا تتجاوز مدة الفيلم 30 دقيقة.

استعادة النشاط على خشبة المسرح

حراك الشارع يحتاج إلى المثقفين ليثمر

أيها المثقف التونسي.. هذه لحظتك

قادة التغيير منهم المغيبون ومنهم المنعزلون في أبراجهم

رغم المساهمات الفعالة للمثقفين التونسيين، سواء ضد الدكتاتورية، أو من بعد ضد أخونة تونس وضد الحركات الظلامية والعنف والإرهاب، ما رسخ وحدة التونسيين، فإنهم مؤخرا باتوا أقل حماسا وأكثر انعزالا عن الشارع التونسي، الذي يشهد حركات احتجاجية متصاعدة، طلبا لتغيير نظام أودى بالبلاد إلى الشلل الكلي.

محمد ناصر المولهي
كاتب تونسي

تعيش تونس هذه الأيام على وقع احتجاجات تتوسع يوما فاخر، يقودها شباب ضد التهميش والوضع السياسي المضطرب والاقتصادي المشلول، حراك يطالب بتصحيح مسار الثورة التونسية، واستعادتها من الطبقة السياسية التي حولت وجهتها إلى المصالح الذاتية والنزاعات الجانبية.

الحراك الشبابي على عكس حراك 2011 لم يكن مدعوما من كل أطياف المجتمع، وبالأخص المثقفين، الذين صاروا شبه مغيبين عما يحدث، فبينما وظيفة المثقف هي صوت للعقل وضوء كاشف للطريق، باتت أكثر إلحاحا اليوم، في ظل إشكالات وجودية ونفسية وفكرية وحتى جمالية عميقة، فإننا نجده مستقيلا من الشأن العام، منبتا عنه، فما أسباب ذلك؟

الجدوى من الثقافة

هناك نظرة قاصرة ترى أن الثقافة بلا فاعلية في ما يحدث، ولا يمكنها تغيير الواقع، فيما تكفي نظرة بسيطة لنعرف أن تغيير الواقع يتطلب فهمه والوعي به، ولا يتم هذا إلا من خلال الثقافة، فلا تغيير من دون ثقافة.

ومن ناحية أخرى تتكاثر تعريفات المثقف، فيما سندرجه في هذا المقال على أنه كل من يقدم منتجا ثقافيا، جماليا أو فكريا.

ورغم سطوة الجوانب الاقتصادية على مختلف نواحي الحياة، فقد بان بالكاشف أنها مجرد قشرة، وأن ما يقود الدفة هو المنحى الثقافي، وهو ما أكده انتشار الفايروس، الذي أوقف العالم بأسره، أوقف الجميع منتظرين ما سيقوله المفكرون والعلماء، وقالت الفلسفة شأنها شأن العلم كلمتها.

الثقافة قاطرة تنمية اقتصادية، ولنرى الأفلام، هوليوود مثلا وما تروجه من ثقافة الاستهلاك الأميركية، وما تروجه الدراما العربية الشامية والسينما المصرية، إنها تنشر ثقافة.

الثقافة وسيلة لفهم الواقع والآخر والذات ولتركيز هوية متجددة ومنفتحة ضد "الهويات القاتلة" والانغلاق، في عالم صار مترابطا وفرض تحديات جديدة يوما فآخر.

ومن هنا نقر بمحورية دور المثقفين في ما يحدث في تونس، ما قبل الثورة وأثناءها وبعدها. المثقفون طليعة الحراك ودفته إلى التغيير الإيجابي، لكنهم اليوم بعيدون عن واقعهم، فما أسباب ذلك؟

معاناة المثقفين

يعاني المثقفون التونسيون، بكل أطيافهم من مبدعين وباحثين ومؤرخين وجامعيين وحتى محبي الثقافة، من تهميش كبير لأدوارهم في صناعة الوعي الجمعي، تهميش من مختلف الجهات، يبدأ من الدولة ذاتها التي لم تبد اهتماما بالثقافة كعنصر فاعل للتنمية والتطوير والتجديد ولم تراهن عليها، وتحولت مؤسساتها إلى مؤسسات اجتماعية لتشغيل موظفين إداريين في الثقافة، بينما لا إنتاج ثقافيا. مبدعون ومثقفون متروكون لمصيرهم، فيما الدولة تواجه واقعا ثقافيا متحركا إلى الانهيار بقوانين وأساليب قديمة ومؤسسة بيروقراطية مهترئة.

لا تولي الدولة اهتماما كافيا للثقافة ولا إلى المثقفين، متناسية أن صناعة المستقبل مرتبطة أساسا بصناعة الوعي، ولا وعي من دون ثقافة. الثقافة في تونس معزولة تماما كقطاع ومعزولة عن التأثير والفعل في الشأن العام، وكأنها لوحة للزينة، تستعملها الحكومات المتلاحقة لتزيين الرواق المظلم الذي قادت فيه البلاد، حتى أنها مساهمة في تعميم فكرة مغلوطة للناس، أن الثقافة ترفيه، كما جاء في كلمة رئيس الحكومة هشام المشيشي.

لو تسأل أي مواطن بسيط سيقول لك إن الثقافة رقص ومرح، هذا ما ترسخ في الأذهان بتواطؤ واع أو غير واع من وسائل الإعلام التي سنأتي لاحقا على دورها السلبي في الإساءة للمشهد الثقافي.

تم عزل الثقافة عن مؤسسات التعليم، حيث لم تتحين البرامج التعليمية ولم يدرج كتاب ومفكرون تونسيون بشكل متوازن في المناهج، كما لا يولي التعليم اهتماما لقضايا الثقافة المتحركة، ولا يتعامل معها بالمرونة الكافية، أضف إلى الواقع المتردي للكتاب التونسي، الذي لا يقبل عليه التونسيون، لا لتراجع جودته، وإنما السبب الأساس هو تردي منظومة صناعته التي حولت الناشرين إلى مستفيدين بالملاليم من الدعم، على حساب ترويج الكتاب.

ومنظومات الدعم التي تتشدق بها الحكومات المتلاحقة على أنها هبات للمثقفين والمبدعين، لا تعدو أن تكون إهدارا للمال العام، لا تعقبه مرافقة ومتابعة لضمان حسن سير العمل، إنها إهدار مذل لمن تقدم لهم من العاملين في القطاع الثقافي والفني. ولم تحقق الإنتاجية المرجوة التي تجعل من الثقافي منتجا حيا مواكبا للتطلعات.

وبالعودة إلى الإعلام فقد تمكنت القنوات الخاصة اليوم من غزو المشهد على حساب القنوات الحكومية الكسولة، وإن كنا شاهدنا بعد 2011 استدعاء لبعض المثقفين، فإنها أقصت من كانت تعتبرهم مثقفي النظام، لكنها استدركت وقامت بإلغاء المثقفين من البرامج التي تتناول الرأي العام، وحصرهم في برنامج أو اثنين عن الثقافة في بعدها الجامعي التقني.

ولم تكتف المنابر الإعلامية بذلك، بل قامت بتكريس الصورة النمطية للمثقف، وشوهته بشكل فظيع، على أنه المستجدي الكسول الذي يعيش في الأحلام، صاحب البرج الذي يطل منه على العوام، إلخ.. من صورة كاريكاتورية، كانت تحاول السخرية من شخصية ثرية، بهدف الإضحاك، وهي لا تدري أنها تهدم حضارة.

وهناك صورة أخرى مغلوطة هي أن الناس ما عادوا يستمعون للمثقفين، وهذا خطأ وقع الترويج له، حيث تتمتع غالبية أفراد الشعب بمستوى تعليمي معقول وليسوا أغبياء لكي لا يفرقوا بين فكرة وفكرة أو بين ما هو غث وسمين، الأطروحات والمعلومات، على تفاوت طبعا. لذا فإنهم يولون كل مثقف رصين وكل فكرة انتباههم، على تفاوت أيضا، في التعامل معها.

المثقفون هم وجه الحضارة لأي شعب من الشعوب، وما تعرضوا له بعد الثورة التونسية كان قاسيا في حقهم.

المنعزلون والانتهازيون

نلوم أجهزة الدولة، التي عزلت الثقافة والمثقفين، ولكن أيضا دعونا نلوم المثقفين. أولا رغم أن كلمة مثقف فضفاضة جدا، ولو أردنا تعريفها لوجدنا المئات من التعريفات الوظيفية أو التجسيدية لواقعه، بين من تعتبر المثقفين هم طبقة "الأنتلجنسيا"، وبين من تراهم "البرجوازية الصغيرة"، وبين من يقر بضرورة أن يكونوا "عضويين"، إلخ.. لكن جل هذه التعريفات لا تلغي دور المثقف في محيطه، بل تكرسه من زوايا مختلفة.

الكثير من المثقفين استقالوا من المشهد العام المتقلب، ربما لم تكن لديهم الآليات الكافية لفهمه أو تفكيكه، وهو المتحرك بسرعة لم يسبق لها مثيل. ربما فشل المثقفون التونسيون في تقديم مقاربات مرنة، على نواح مختلفة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، وخاصة في ما يتعلق بمجالات لصيقة بهم كالتعليم والبحث العلمي والصحافة وحتى التاريخ البعيد والقريب. وتغيب المقاربات التي كان يرجوها الناس من المثقفين، الذين فيهم من هاجر تاركا البلاد لعلاتها، وفيهم من اختار الصمت، وآخرون ظلوا يكررون مقولات سابقة دون أدنى اهتمام بحركة الزمن والواقع.

وعلاوة على هؤلاء نجد ممن يرون في أنفسهم مثقفين، يضربون عزلة بينهم وبين العوام، يعممون أفكارهم بنظرة احتقار، لو يعلمون هي تصيب ذواتهم قبل إصابة غيرهم. هؤلاء تقنيو معرفة، لهم موسيقاهم وملامحهم وحياتهم وأدبهم وكتبهم ويومياتهم البعيدة كليا عما يعيشه الناس، وغالبا ما يكون هؤلاء من الفراكوفونيين، ممن استفادوا من خدمة الأنظمة السابقة.

> المثقفون هم وجه الحضارة لأي شعب من الشعوب، وما تعرضوا له بعد الثورة التونسية كان قاسيا في حقهم

صورة أخرى يمثلها مثقفو اليسار، وهؤلاء ملتحمون بقضايا شعبهم في الظاهر، يدعون في الغالب إلى استكمال مسار الثورة، أطروحاتهم غالبا ما تكون عنيفة تنشغل في الأغلب بتفنيد الأطاريح المضادة، هؤلاء وإن كانوا في الظاهر قادة ثقافيين ميدانيين، فإنهم في الحقيقة محكومون بزاوية نظر أيديولوجية، لن تمكنهم من النظر أبعد مما تسمح به توجهاتهم السياسية، والبعض منهم كان أكثر مرونة، ولكنه بقي مهمشا.

أما مثقفو اليمين، فهم الفئة التبريرية المخادعة، ومن بينهم من انخرط مع حركة الإخوان المسلمين صادحا بما يصدحون، أو كيف يمكننا أن نفهم شخصا يدعي الفلسفة يقول إن قطاع السياحة، الذي يشغل الآلاف، هو دعارة.

أثبت الكثير من المحسوبين على طبقة المثقفين بعد الثورة التونسية انتهازية كبيرة، منهم من انخرط في الفعل السياسي وانقلب ما إن نجح في الانتخابات على كل وعوده، ومنهم من اكتفى بمنصب مدير لمؤسسة حكومية، وآخرون تستعملهم الأحزاب لمقارعة خصومها، وآخرون لم يتمكنوا من افتكاك نصيب من "الطورطة" فاتجهوا إلى الضفة المقابلة لا وظيفة لهم غير اللعن والاحتجاج الفارغ من الجدوى.

إنها لحظة حاسمة في تاريخ تونس اليوم، على المثقفين كما كانوا بناة للجمهورية الأولى، ومدافعين عن الجمهورية الثانية، أن يتصدوا لحماية البلاد وأهلها، من أفكار التطرف ومن الفوضى والتقاتل، عليهم أن يكونوا صوت العقل الذي يغير لا الذي يبرر، عليهم أن يكونوا تونسيين بحق.